اليزيدية قديماً وحديثاً

وهي ثلاثة فصول في معتقدات اليزيدية وعاداتهم وبعض
حوادث تاريخهم وسيرة أحد أمرائهم المعاصرين

لاسماعيل بك چول

أمير اليزيدية في سنجار

عُني بنشرها واعداد حواشيها ووضع مقدمتها وفهارسها

الدكتور قسطنطين زريق

أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

المطبعة الاميركانية ، بيروت سنة ١٩٣٤

مقدمة المحرر

في بقعة صغيرة من شمالي العراق لا تتجاوز مساحتها بضعة آلاف من الاميال المربعة جمع الله مزيجاً من الاجناس والطوائف والشعوب قد لا تجد مثيلًا لهُ في اية بقعة اخرى من بقاع الارض . فاذا قمت بجولة في السهول والجبال المحيطة بلواء الموصل مررت باقليّات عديدة من الشعوب والطوائف القديمة غرسها التاريخ في تلك المنطقة الفريدة وكأنها تحجرت على ممرّ الايام فغدت اثرًا طريفاً للعوامل القومية والاجتماعية والدينية التي تمخض بها الشرق الادنى من اقدم الازمان . وقلّ ان تلتقي في هذه « الفسيفساء » من الشعوب قومين ينتميان الى جنس واحد او يتكلمان لغة واحدة او يعبدان الهاً واحدًا . ففيها من الاجناس : العرب والاكراد والسريان و« الاثوريون » والاتراك والارمن . ومن الطوائف والاديان فرق عديدة متباينة : منها طائفتا اليعاقبة والنساطرة القديمتان اللتان لعبتا دورًا خطيرًا في تاريخ انتشار المسيحية وتطور معتقداتها وقد تفرعت عن كلّ منهما طائفة جديدة انضوت تحت لواء البابا والتحقت بغيرها من الطوائف الغربية ، ومنها الملة الاسلامية بفرعيها : السنة والشيعة (ومن هذه الفرقة الاخيرة جماعة الشبك ذات التقاليد والعادات الخاصة) ، ومنها اقليّة يهودية قد تكون من بقايا السبي البابلي ، ومنها طائفة الصابئة او المندائية المغتسلة التي ترجع على الارجح الى احدى فرق « المعرفة » (Gnostic sects) القديمة ، ومنها اخيرًا تلك الطائفة الغريبة المعروفة باسم اليزيدية التي ما زال اتباعها منذ الزمن القديم يثيرون تعجب العالم واهتمامه لما يروى عنهم من « عبادة الشيطان »

لا يتسع لنا المجال هنا لنعرض امام القارىء بحثاً مسهباً في تاريخ فرقة اليزيدية ومعتقداتها وعاداتها ، اذ ان الغاية الاولى من هذه المقدمة انما هي تعريف القارىء بالنصوص

اليزيدية الثلاثة التي ننشرها ومؤلفها اسماعيل بك چول وتبيان اهميتها في درس هذه الملة وجلاء بعض ما غمض من تاريخها الغابر والحاضر. ومما يدعونا الى الايجاز ان غرابة هذه الطائفة وطرافة معتقداتها قد اثارت عند فريق كبير من الرحالين والعلماء والادباء الرغبة في الوقوف على حقيقة حالها فوضعوا المؤلفات العديدة في تاريخها ومعتقداتها . وسننشر فيما يلي من هذه المقدمة جدولاً باهمّ هذه المؤلفات واحراها بالثقة والاعتبار ونحيل اليها من يود الوقوف على تفاصيل هذا البحث من وجوهه المختلفة . غير انهُ لا بد لنا — لفائدة غير المختصين بهذا الموضوع — من تعريف هذه الطائفة بكلمة اجمالية عامة نتدرج منها الى البحث في النصوص التي نبرزها اليوم لعالم النشر .

****

اليزيدية طائفة تنتمي كثرتها الى الجنس الكردي ويقطن اتباعها في بعض نواحي الشرق الادنى وخاصةً في المناطق التالية : (١) قضاء الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل وفيهِ اهم مراكزهم السياسية والدينية كباعدري قاعدة اميرهم ، وقبر الشيخ عادي وهو اعظم مقاماتهم الدينية ، وباحزاني وبعشيقة وسواها . (٢) قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا ، وهو منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين يلجأون اليهِ في زمن الشدة والاضطهاد (٣) ديار بكر وماردين وجبل الطور (٤) منطقة حلب حول كلّس وعينتاب (٥) البلاد الارمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا وخاصة في منطقتي قرص وايراوان ، وحول تفليس من بلاد القوقاس . وهناك ايضاً بعض اليزيدية في بلاد العجم . واكثر هذه الطائفة يسكن المدن والقرى ويشتغل بزراعة الارض ، الا ان بعضها لا يزال في طور البداوة ويؤلف قبائل رحّالة تدعى الكوچر .

لقد انصرف علماء كثيرون الى درس احوال هذه الفرقة ، لكن الاضطراب والركاكة اللذين يسودان كتبها المقدسة ، وانعزالها عن العالم في المناطق النائية ، والعقبات الطبيعية والادبية التي تعترض في الطريق اليها — كل هذه العوامل احدثت تضارباً بيّناً في آراء هولاء العلماء ونظرياتهم . فلقد اختلفوا في تقدير عدد اتباعها ، وذلك راجع في الدرجة الاولى الى ان الحكومات التي يعيشون في ظلها لم تُعِدّ بعد احصاآت دقيقة مضبوطة لسكان بلادها . ولعلّ اقرب تقدير الى الحقيقة هو حوالي ٦٠ الفاً ، ومما لا شك فيهِ ان عددهم قد نقص كثيراً عما كان فيما مضى بسبب الاضطهادات الدموية الشديدة التي نزلت بهم

في زمن الاتراك العثمانيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

وكذلك اختلف الباحثون في تعليل تسميتهم . فبين اليزيدية انفسهم من يعتقد انهم دعوا بهذا الاسم نسبةً الى الخليفة الاموي يزيد بن معاوية الذي احيا دينهم القديم واطلق عليهِ اسمهُ [1]، ويوافقهم بعض الباحثين في هذه النسبة الى يزيد لكنهم يجعلونهُ يزيـداً آخر : يزيد بن أُنيسة ، زعيم فرقة من الخوارج في صدر الاسـلام [2] ، ويميل آخرون الى اشتقاق هذه التسمية من اصل فارسي : كاسم مدينـة « يزد » [3] ، او « يزدان » التي تعني بالفارسية « الله » [4] ، او « إيزِد » التي تعني « خليق بالعبـادة » وتطلق في دين الفرس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر وتنقل مشيئته اليهم [5]. ويظهر ان احد هذين الاشتقاقين الاخيرين هو الاقرب الى الصواب ، فيكون اصل معنى اليزيدية : « اتباع الله » او « اتباع الملائكة »

وكما تباينت الآراء في اصـل تسمية اليزيـدية كذلـك اختلفت في اصل دينهم . فاليزيدية انفسهم لهم في هذا الباب اعتقادات قد اشتبكت على ممر الايام بكثـير من الخرافات والاساطير حتى اصبح من الصعب استخراج نواتها الصحيحـة ، فبينما ترى احدى رواياتهم ترجعهم الى آدم وتجعلهم خلفـاءه الحقيقيين لانهم ولدوا منهُ وحده حال ان بقية الشعوب ولدت من زواجـهِ بحواء [6] ، تجـد حكاية اخرى تفضِّل كيف ان ملكهم ومؤسس ديانتهم وُلد من زواج معاوية بن ابي سفيان بامرأة عجوز انقلبت بصورة عجيبة الى شابة في مقتبل العمر [7]. اما الذين نظروا في اصل ديانة اليزيدية من غـير اهل هذه الفرقـة فان لهم ايضاً في ذلـك نظريات متباينة . فالبعض من المسيحيـين القاطنين حولهم وفريق من العلماء الباحثـين يرجعونهم الى اصل نصراني ويروون ان مقام الشيخ

---

(١) Furlani, *Testi Religiosi dei Yezidi* ص ١٢–١٥ . ولقد نفى معظم الباحثين صحة هذه النسبة معتقدين انها لم تظهر الاَّ فيما بعد لتفسير اسم اليزيدية ، ولم اجد بينهم من قبلها سوى A. N. Andrus في مقالهِ "Yezidees" في *Encyclopedia of Missions* م ٢ ص ٥٢٦ أ

(٢) Isya Joseph, *Devil Worship* ص ٣٠ و ١٢٩

(٣) كما ورد في A. V. Jackson, *Persia Past and Present* ص ١١

(٤) Th. Menzel, "Yazîdî", *Encyclopedia of Islam* م ٤ ص ١١٦٤ أ

(٥) Furlani في كتابهِ المذكور اعلاه ص ٩–١١

(٦) ادناه ص ٧٥ ، راجع ايضاً مقالة الاب انستاس الكرملي في المشرق م ٢ ، ص ٢٣

(٧) ادناه ص ٧٧

عادي كان ديراً لرهبان النساطرة[1]. وقد مرّ بنا آنفاً ، عند تحليلنا اسم اليزيدية ، كيف ان فريقاً من الباحثين يرجع هذه الفرقة الى اصل فارسي وغيرهم ينسبها الى احدى فرق الخوارج التي ظهرت في صدر الاسلام . ومهما كان اصل هذه الديانة — والراجح انهُ فارسي — فمما لا شك فيهِ ان النواة الاصلية امتزجت بعناصر اخرى على ممر الايام . ويوسع بعض العلماء دائرة الاديان التي تشربت اليزيدية من معتقداتها حتى تشمل اكثر ديانات الشرق الادنى . هاك مثلاً ما يقولهُ البحاثة Th. Menzel : « ان اصل وتطور ديانة اليزيدية المركبة لم يُوضحا بعد ، غير انهُ يظهر ان عقيدتهم تشمل عناصر وثنية قديمة (لكنها ليست من قبيل عبادة الشمس والقمر) ، وعناصر ايرانية زردشتية (بعض ما يشبه الثنوية الفارسية) ، ومانوية (مذهب "المعرفة" الفارسي) ، ويهودية (تحريم بعض الاطعمة) ، ونصرانية — خاصةً من النساطرة — (المعمودية ، العشاء الرباني ، زيارة الكنائس المسيحية في حفلات الزواج ، تحليل شرب الخمر) ، واسلامية (الختان ، الصوم ، تقديم الضحايا ، الحج ، الكتابات القبرية الاسلامية) ، وصوفية رافضية (كتمان العقيدة ، الوجد ، تعظيم عدد كبير من شيوخ الصوفية) ، وصابئية (التقمص) ، وشامانية (طرق الدفن ، تفسير الرؤى ، الرقص)[2]

وكما تغشّي الاوهام والمتناقضات اصل ديانة اليزيدية كذلك تحيط ايضاً بالعقائد التي ترتكز عليها هذه الديانة . لكننا نستطيع ان نستخلص من المصادر الغامضة المرتبكة التي بين ايدينا ان اليزيدية يؤمنون بوجود اله اكبر خالق لهذا الكون ، الاّ انهُ الآن لا يعنى بشؤونهِ بعد ان فوّض امر تدبيره وادارته الى مساعده ومنفذ مشيئته : مَلَك طاووس ، الذي يرتفع في اذهان اليزيدية الى مرتبة الالوهية حتى انهم يسبحونهُ ويضرعون اليهِ ويكادون ينسون من اجلهِ الاله الاكبر المتعالي عن هذا العالم . وملك طاووس هذا هو الملاك الاعظم الذي عصى امر الله قِدماً فعاقبهُ الله على خطيئتهِ فندم عليها وظلّ يبكي سبعة آلاف سنة حتى ملأ سبع جرار من دموعهِ والقاها في جهنم فاطفأ نارها فاعاده الله الى مركزه الرفيع في ادارة الكون. ولذلك فان اهل الديانات الاخرى يخطئون بنظر اليزيدية حين يدعون هذا الملاك الاعظم « الشيطان » ويلعنونهُ ويعتقدون انهُ خالق الشر ، والاحرى بهم ان يسبحوه ويمجدوه — ان لم يكن حباً بهِ وتعظيماً لهُ فعلى الاقل دفعاً

---

(١) Isya Joseph في كتابهِ المذكور اعلاه ص ٩٦–١٠٢

(٢) مقاله المذكور اعلاه م ٤ ص ١١٦٤ أ

لغضبهِ اذ انهُ ، وهو المدبر الحقيقي لهذا العالم ، قادر على ان ينزل بالبشر جميع انواع العذاب. هذا هو « الشيطان » الذي يعبده اليزيدية . ويظهر بجلاء انهُ غير شيطان بقيـة الاديان الاخرى . فهو ليس تلك القوة التي تخلق الشر وتغوي البشر ، وانمـا هو القوة التي تدبر الكون وترعى شؤونه . اما كيف دُعي هذا الملاك الاعظم ملك طاووس ومُثِّل بشكل هذا الحيوان ، فهذا ايضاً من الامور الغامضة التي لم يتوفق العلماء بعد الى حلها . فالبعض قالوا ان « طاووس » محرَّف عن « تموز » احد آلهة البابليين[1] ، وغيرهم اشتقوه من اسم الله في اليونانية : θεός[2] على ان اكثرهم لا يخرجونهُ عن الاصل العربي وان كانوا يختلفون في تعليل سبب اطلاقهِ على الملاك الاعظم وتمثيل هذا الملاك بشكل الطاووس . وآخر ما ظهر من هذا القبيل نظرية الاستاذ Furlani التي تسوق ذلك الى اسطورة اسلامية عن غواية الشيطان لآدم وحواء واشتراك الطاووس بها كواسطة بين الشيطان والحية[3].

اما نبي هذه الديانة ومصلحها فهو الشيخ عادي الـذي يروي عنه اليزيدية اخباراً وروايات عديدة ويرفعونهُ احياناً الى ما فوق درجة النبوة والقداسة حتى يتحد بملك طاووس ويشترك معهُ في الالوهية . ومن هـذه الروايات ما ينطبق على احـد شيوخ المسلمين ومتصوفيهم الشيخ عدي بن مسافر الذي نعرف عنهُ انـهُ ولد قرب بعلبك في الشام ثم رحل الى الجبال الواقعة شرقي الموصل حيث بنى لهُ زاوية وجمع حولهُ طلبته ومريديـه فعظمت شهرته وعلا صيته الى ان توفي في منتصف القرن السادس للهجرة . عـلى اننا اذا راجعنا الكتب التي خلَّفها هذا الشيخ المتصوف او التعاليم الدينية التي نشرها تلامذتـهُ وقابلناها بمعتقدات اليزيدية لم نجد بينهما علاقة خاصة تسترعي الانتباه . فلا تزال شخصية الشيخ عادي وعلاقته بعدي بن مسافر غامضة لم يجلها البحث ، ولا يزال مع ذلك اهل هذه الفرقة يقدسون ذكره ويحجون لقـبره في الشيخان حيث يدور قسم كبـير من حياتهم الدينية والقومية .

هذا اذن هو « ثالوث » اليزيدية الاقدس : الله ، مَلَك طاووس ، الشيخ عـادي . وهناك ايضاً دون هذا الثالوث كائنات وملائكة تتوسط بينه وبين البشر . كمَلَك دردائيل

---

(١) راجع مقالة "Ein Exposé der Jesîden" M. Lidzbarski, في مجلة الجمعية الالمانية الشرقية (Z D M G) م ٥١ ، ص ٥٩٥ ، ح ١

(٢) راجع مقالة "Recueil de textes et de documents sur les Yézidis" F. Nau, في مجلة الشرق المسيحي (ROC) م ٢٠ ، ص ١٥٧ ، ح ١ .

(٣) كتابه المذكور اعلاه ص ٢٢–٢٣ .

ومَلَك ميخائيل ومَلَك زرزائيل ومَلَك شمخائيل نصر الدين ، الاّ ان حقيقة طبيعتها ومقامها ووظيفتها – كاكثر ما يتعلق بديانة اليزيدية – غامضة ليس بالامكان تحديدها .

ولا مراء ان هذا الغموض الذي يحيط بديانة اليزيدية من جميع وجوهها يرجع اكثره الى ما يسود كتبها المقدسة من ارتباك وركاكة . ففي مقدمة النصوص الدينية المعروفة عنها كتاباها المقدسان : كتاب الجلوة ، ومصحف رَش (كردية بمعنى الكتاب الاسود) ، وقد نُشر نصاهما مراراً ونقلا الى اللغات المختلفة كما سنفصل لك ادناه عند تعليقنا على النص الذي اورده اسماعيل بك في الفصل الثاني من هذه الرسالة[1] . وسوف تتحقق بنفسك عند اطلاعك على هذين النصين مبلغ ما يحيط بهما من الابهام وما يسودهما من الركاكة والاضطراب . ولليزيدية ايضاً نشيد ديني في تسبيح الشيخ عادي ، وصلوات وتهاليل ، ونصوص دينية مختلفة قد اهتم بها العلماء ونشروها[2] . وهي ، على اضطرابها وركاكة تعبيرها ، ذات فائدة في درس هذه الفرقة وعقلية افرادها

هذا فيما يتعلق بمعتقدات اليزيدية واصول ديانتهم ، فاذا انتقلنا منهُ الى البحث في عاداتهم واحوالهم الاجتماعية انجلى بعض ما يغشي موضوعنا من الغموض والابهام . فيتبين لنا ان معظمهم ينتمون الى الجنس الكردي وانهم – على انعزالهم الطبيعي والادبي عما حولهم من الشعوب – قد امتزجوا باجناس اخرى كالشعوب الساميَّة في سوريا والعراق والشعب الارمني في آسيا الصغرى . وهم يتكلمون الكردية بلهجاتها المختلفة ، وبعضهم يزيد عليها لغة اخرى : كالتركية في آسيا الصغرى والعربية في العراق وسوريا . وقد اشتهروا بصدق القول ونزاهة الاخلاق والجد في العمل وحب الحرية والاستقلال . واهم اشغالهم الزراعة وتربية المواشي ، وهم يتجنبون التجارة لانها قد تدفع بالانسان الى الكذب والشتم فيصيب شيء منهُ معبودهم ملك طاووس

اما نظامهم الاجتماعي فانهُ لا يزال في الدور القبيلي ، وكل قبيلة منهم تقسم الى بطون وافخاذ يرأسها شيوخ يديرون امورها . وينقسم مجموعهم الى طبقات معينة تفصل بينها حدود واضحة ، فمنهم العوام والروحانيون او الكهنة : الاولون يكوّنون طبقة

---

(١) ادناه ص ٩٩ ، ح ٢

(٢) راجع مثلاً النصوص التي نقلها Isya Joseph الى الانكليزية في كتابهِ المذكور اعلاه ص ٧٠–٨٢ ، وتلك التي نقلها الى الايطالية Furlani في كتابهِ الذي اشرنا اليهِ مراراً ص ٩٣–١١٧ .

واحدة مهما كانت الفروق الاجتماعية — من غنى او جاه — التي تفصل بينهم ، اما الآخرون فينقسمون الى عدة طبقات وهي : الشيخ ، والپير ، والفقير ، والقوّال ، والكوچك ، ودون الجميع الفرّاش والشاويش وخادم قبر الشيخ عادي . ويمتاز اهل كل فرقة بلباس خاص ويقومون بوظائف دينية معينة . ويحافظ اليزيدية على هذا التقسيم الديني والاجتماعي محافظة شديدة اذ انهُ في نظرهم العامل الذي يضمن سلامة جنسهم ونظام مذهبهم ، فلا يمكن أرباب احدى الطبقات ان يتزوجوا من غير طبقتهم او يرتقوا الى ما هو اعلى منها بل يتحتم عليهم ان يعيشوا ويموتوا في نفس الطبقة التي ولدوا فيها . وعلى رأس جماعة اليزيدية كلها شيخان احدهما زمني والآخر روحي : الاول — ويلقب امير الامراء — يقطن باعدري ويدير امور الطائفة المدنية ويمثلها امام العالم الخارجي ، والثاني يمثل بشخصه السلطة الروحية العليا والمرجع الاعظم لكل ما يتعلق بالدين والعقائد اليزيدية .

ويقوم اليزيدية بفروض وطقوس دينية خاصة : لهم صلواتهم التي يرفعونها لملَك طاووس والقوى السماوية الاخرى ، وصيامهم الذي يدوم ثلاثة ايام في شهر كانون الاول ، وحجهم السنوي لقبر الشيخ عادي في ١٥—٢٠ ايلول (حساباً شرقياً) — وهو اعظم فروضهم الدينية وابرز مظهر لحياتهم القومية والاجتماعية ، وزياراتهم الاخرى لقبور اوليائهم وعظمائهم ، واعيادهم الدينية والشعبية — واهمها عيد راس السنة (سرسالي) الذي يقع في اول اربعاء من شهر نيسان ويحتفلون بهِ احتفالاً شائقاً ، واخيراً استقبالاتهم للسناجق — وهي اشكال حديدية او نحاسية تعلوها صورة طاووس يطوف بها عليهم القوالون مرة او مرتين او ثلاثاً في السنة فيستقبلونها بحماسة فائقة ويقدمون لها التبرعات . ولليزيدية ايضاً عادات خاصة في زواجهم ، وعمادهم ، وختانهم ، ودفنهم ، وهم يُعرفون بالعفة وطهارة العيش ، ويعاقبون الزنى اشد عقاب ، وقد ظهر ان كل ما كان ينسبهُ اليهم جيرانهم وبعض من كتب عنهم من انهم يُحيون ليالي خاصة يرتكبون فيها اشنع المنكرات خالٍ من الحقيقة بعيد كل البعد عنها

وهم يحرّمون اموراً عديدة : كأكل لحم الخنزير والخس واللهانة وبعض ما يشبهها من الاطعمة ، والشرب من كوز او جرة تبقبق ، ولبس الثياب الزرقاء او ذات الطوق المفتوح (الزيق المشقوق) ، وقضاء الحاجة في المستراح ، والبصاق علناً ، والتلفظ باسم « الشيطان » او « اللعن » وكل ما يقاربهما لفظاً وان لم يكن معنى كالشط والبط

والحيطان والبستان والنعل الخ – وهو عندهم اعظم الخطايا[1]. ويحرّمون ايضاً الكتابة والقراءة ويحصرون حق تعلمها في عائلة واحدة تنطن قرية بعشيقة ، غير انهم بدأو يتسامحون في ذلك كما يظهر من تعليم اسماعيل بك لاولاده وارسالهم الى مدارس الارساليات المسيحية في الموصل وبيروت[2].

وقد تحمل اليزيدية في تاريخهم اشد انواع العذابات والاضطهادات . واسباب ذلك عديدة منها : تمنعهم عن نشر كتبهم الدينية الامر الذي يخرجهم بنظر الحكام المسلمين عن حرمة « اهل الكتاب » ، وما ينسب اليهم من عبادة « الشيطان » ، وتمسكهم الشديد بحريتهم واستقلالهم . كل هذا كان مما دفع الحكام الاتراك والقبائل الكردية التي تحيط بهم الى استباحة بلادهم ومحاولة استئصال شأفتهم فكانت من نتيجة ذلك ذبائح واضطهادات سني ١٧٨١ و١٧٩١ و١٨٠٢ و١٨٠٩ و١٨٣٧ و١٨٩٢ التي قُتل بها عدد لا يستهان به من اليزيدية ونهبت ديارهم ومساكنهم واستبيحت نساؤهم . الا انهم ظلوا – مع كل ذلك – محافظين على عقيدتهم متمسكين بديانتهم يعتصمون بها في الجبال الحصينة والمعاقل النائية حيث لا تجرؤ ان تمتد اليهم يد الاضطهاد . وتمسك اليزيدية هذا بديانتهم وبذلهم في سبيلها كل مرتخص وغالٍ جديران بالاحترام والاجلال .

هذه لمحة مجملة مقتضبة في اصل اليزيدية وديانتهم وعاداتهم ليس القصد منها الاحاطة بالموضوع من جميع وجوهه وتفصيل اقسامه واجزائه بل اعدادَ ذهن القارىء لدرس فصول اسماعيل بك وايضاح الجو الذي ظهرت فيه والاصل الذي نشأت عنهُ . اما من احب الوقوف على جزئيات الموضوع وتفاصيله والاحاطة به من مختلف نواحيه فيمكنهُ ان يرجع الى الكتب والمقالات العديدة التي تبحث في اليزيدية وقد وردت اسماء بعضها في هوامش هذا الكتاب ، وها نحن نثبت هنا اهمها بحسب تاريخ نشرها اتماماً للفائدة[3]:

---

(١) راجع عن محرماتهم ادناه ص١٠٢–١٠٣

(٢) ادناه ص ٧٣ .

(٣) لقد جمع العالم Th. Menzel لائحتين مفصلتين للكتب والمقالات التي تبحث في هذا الموضوع فنشر الاولى منها – التي تمتد الى سنة ١٩١٠ – في ذيل مقالهِ "Ein Beitrag zur Kenntnis der Jeziden" المدرج في كتاب H. Grothe, *Meine Vorderasienexpedition* (ليبزك ، ١٩١١) ص ١١٩–١٢٦ ، وألحق بها الثانية – التي تشمل ما نشر حتى سنة ١٩٢٣ مع بعض زيادات اخرى على اللائحة الاولى – في ذيل مقالهِ "Yazîdî" في دائرة المعارف الاسلامية م ٤ ص ١١٦٨ ب–١١٧٠ أ . ويجب ان لا يغترّ القارىء بالعدد الوافر من الكتب والمقالات التي يجد اسماءها في تينك اللائحتين ، فان قيمة تلك الكتب لا تناسب حجمها

A. H. Layard — *Nineveh and Its Remains*, 2 vols., London, 1849. *Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon*, London, 1853.

M. N. Siouffi — "Notice sur la secte des Yézidiz," *Journal Asiatique*, VII. Série, t. XX, 1882.
"Notice sur le Chéikh 'Adi et la secte des Yézidiz" *Journal Asiatique*, VIII. Série, t. V, 1885.

J. Menant — *Les Yézidiz*. Annales du Musée Guimet, V, Paris, 1892. 2nd. ed., 1910.

E. G. Browne — "The Yazidis of Mosul," Appendix to O. H. Parry, *Six Months in a Syrian Monastery*, London, 1895, pp. 357-385.

J. B. Chabot — "Notice sur les Yézidis," *Journal Asiatique*, IX. Série, t. VII, 1896.

الاب انستاس الكرملي «اليزيدية» المشرق ، المجلد الثاني ، سنة ١٨٩٩

S. Giamil — *Monte Singar. Storia di un Popolo Ignoto*, Roma, 1900.

Th. Menzel — "Ein Beitrag zur Kenntnis der Jeziden" in H. Grothe, *Meine Vorderasienexpedition*, Vol. I, Leipzig, 1911, pp. 88-211.
"Yazîdî" *Encyclopedia of Islam*, Vol. IV, pp. 1163b-1170a.

M. Bittner — "Die heiligen Bucher der Yeziden oder Teufelsanbeter (kurdish und arabisch)," in *Denkschriften d. K. Ak. d. Wiss. in Wien*, 1913.

R. Frank — *Scheich 'Adî*. in Turk. Bibl., XIV, Berlin, 1911.

W. A. and E. T. Wigram — *The Cradle of Mankind*, London, 1914. 2nd. ed. 1922.

وكميتها اذ ان قسماً كبيراً منها قد وضعه المسافرون والرحّالون الذين مرّوا ببلاد اليزيدية فاستهواهم ما يروى عن هذه الفرقة وغرابة عباداتها فعمدوا الى الكتابة عنها دون درس او بحث عميق . والدليل على ذلك اننا لا نزال ، مع كل هذا الحشد الوافر من الكتب والمقالات ، بحاجة الى بحث علمي صحيح في اصل اليزيدية ودياناتهم يحلّ ما يحيط بها من المشاكل و يزيل عنها ما يكتنفها من الغموض والابهام .

F. Nau — "Recueil de textes et de documents sur les Yézidis," *Revue de l'Orient Chrétien*, XX, 1915-17. Reprinted, Paris, 1918.

A. Dirr — "Einiges uber die Yeziden," *Anthropos*, XII-XIII, 1917-18.

Isya Joseph — *Devil Worship*, Boston, 1919.

احمد تيمور — اليزيدية ومنشأ نحلتهم — القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

G. Furlani — *Testi Religiosi dei Yezidi*, Bologna, 1930.

عبد الرزاق الحَسَني — عَبَدة الشيطان في العراق — صيدا ، ١٣٥٠ هـ .[1]

****

والآن ، بعد هذه اللمحة الموجزة في ديانة اليزيدية واحوالهم العامة ، فلنتقدم الى النصوص التي ننشرها عنهم ولنعرضها امام القارىء مشيرين الى بعض الصفات الخاصة التي تمتاز بها والتي تجعل في نشرها فائدة للباحثين في هذا الموضوع .

اما مؤلف هذه النصوص فهو اسماعيل بك چول ، احد امراء اليزيدية . وعائلة الامراء — كما ذكرنا سابقاً — تحتل المركز الاعلى في حياة اليزيدية السياسية والمدنية ، وكبيرها الذي يلقب بـ « امير الامراء » (مير ميران) يتمتع بسلطة واسعة في ادارة امور الجماعة . واسماعيل بك هذا هو — بحسب النسب الذي اورده في سيرته[2] — ابن عبدي بك ابن علي بك . وعلي بك هو اخو حسين بك ، واذا صدقنا الشيخ الذي ذكر للمؤلف Siouffi نسب حسين بك كان هذا ابن علي بك ابن حسن بك ابن چول بك ابن بداغ بك ابن ميرخان بك ابن سليمان بك[3] .

لا ينفسح لنا المجال هنا لنروي سيرة المؤلف اسماعيل بك ، فان النص الاول يقص علينا بتفصيل جميع الحوادث التي امتلأت بها حياة هذا الامير المفعمة بالعمل والحركة . وقد

---

(١) لقد استعنت ايضاً في اعداد هذه الرسالة ببعض كتب السياح الحديثين وفي مقدمتها Empsom, *The Cult of the Peacock Angel* وهي قليلة الغناء في ايضاح اصل اليزيدية ومعتقداتهم ، وانما فائدتها في تعيين بعض المواقع الجغرافية وخاصة في اثبات ما حصل للمؤلفين من الاختبارات الشخصية في بلاد اليزيدية .

(٢) ادناه ص ١

(٣) "Notice sur la secte des Yézidiz" في المجلة الاسيوية *(JA)* ، ١٨٨٢ ، ص ٣٦٦ .

تعمدنا وضع هذا النص في اول الرسالة كي يتسنى للباحث الوقوف على سيرة المؤلف كما يرويها هو نفسه حتى اذا تقدم الى النصوص الاخرى التي تبحث في معتقدات اليزيدية وتاريخهم عرف الروح التي كتبت فيها والنزعة او النزعات التي تميزها. غير انهُ يجدر بنا ان نشير هنا الى بعض الصفات التي تجعل لهذه السيرة اهمية خاصة.

لا يمكن من يطالع سيرة اسماعيل بك الا ان يعجب مما كان يملأ حياة هذا الامير من جد وعمل — او بالاحرى من نشاط وحركة. لم يقبل ان يظل قابعاً في بيتهِ قانعاً بما ورثهُ عن عائلتهِ من شرف ووجاهة، بل خرج من وطنهِ الشيخان وجاب الاماكن التي يقطنها اليزيدية في الشيخان وسنجار وديار بكر وحلب وروسيا ساعياً وراء الزعامة والامارة التي كان يعتقدها حقاً لهُ وراغباً في خدمة امتهِ ودينهِ.

وُلد في الشيخان، مركز السلطتين الدينية والمدنية عند اليزيدية، وتوفي والده وهو بعدُ طفل لا يتجاوز الستة اشهر من العمر. وبعد سنوات ثلاث فقد امهُ ايضاً فبقي يتيماً من الاب والام « ما لي مدبر غير الله واختي مَيَان خاتون واختي الاخرة نوره خاتون التي توفيت سنة ١٩١٠ واخي چول بك »[1]. ولما كان شاباً احب امرأة وهرب بها دون رضى اهلها وموافقة الامير علي بك فظل من اجل ذلك بعيداً مدة من الزمن عن قصر الامارة. ثم اخذت نفسهُ تدفع بهِ الى السفر والتنقل بين جماعات اليزيدية، فزار سنجار وتجول فيهِ واصلح بين بعض قبائله المتعادية، ورحل منهُ الى جبل الطور ودار بين جماعات اليزيدية المنتشرة فيهِ، وتقدم منهُ الى حلب فوصلها بعد صعوبات جمة وعاد منها اخيراً الى وطنهِ الشيخان.

وفي السنة نفسها عاد الى سنجار فجبل مديات فديار بكر ودخل الحدود الروسية وتجول بين اليزيدية القاطنين في بلاد القوقاس، وكان في كل مكان ينزل بهِ يعلّم ابناء امته اصول ديانتهم التي كانوا على وشك نسيانها لاهمال رؤسائهم وشيوخهم ويوطد علاقاتهم بالحكومة وبالشعوب المجاورة لهم كالاتراك والاكراد والارمن. وعاد من رحلتهِ عن طريق استانبول حيث حاول ان يستعيد من الحكومة التركية السناجق التي كان الفريق عمر باشا قد نزعها من اليزيدية، وكاد ينجح في مهمتهِ لولا ان شيوخ الطائفة في الموصل رفضوا ان يولوه ثقتهم ويفوضوا اليهِ الامر فاضطر الى العودة الى بلاده خائباً.

---

(١) ادناه ص ٢

ومن ذلك الحين بدأ نزاعه العنيف مع ابناء عمهِ الذين كانوا متولين الامارة : اولاً مع علي بك ابن حسين بك الذي قُتل سنة ١٩١٣ واتهم اسماعيل بك بقتله ، ومن بعده مع ابنه سعيد بك الذي خلفهُ في الامارة . فكان يعتقد انهُ اولى منهما — او على الاقل من ثانيهما — بالامارة ، ولما يئس من الحصول عليها كاملة اخذ يطالب بحصة منها . وليس هذا التطاحن على مركز الامارة لما يتعلق بها من جاه ومقام ادبي فحسب ، بل لما يفيض على صاحبها ايضاً من الربح الماديّ من السناجق التي يطوف بها القوالون على اليزيدية مرة او مرتين في السنة فيقدم لها اهل الملة التبرعات والهدايا التي يعود اكثرها للامير . ولذا نجد اسماعيل بك يطالب ببعض هذه السناجق ليؤمن بها مورده وعيشه ، وقد اضطرّه ذلك الى الالتجاء الى السلطة التركية مراراً والى مناوأة ابناء عمه مناوأة شديدة والقيام بمناورات ومغامرات ساقتهُ في بعض الاحيان الى المحاكمة فالسجن .

ولما شبت نار الحرب وقام الاتراك يضطهدون الارمن والسريان المسيحيين ويذبحونهم هرب عدد وافر منهم الى جبل سنجار لحصانتهِ ومناعتهِ ، فجاهد اسماعيل بك وحمو شرو كبير يزيدية سنجار في سبيل حمايتهم وتأمين عيشهم . ولما اشتدت الحرب واثار الاتراك القبائل المجاورة لجبل سنجار للهجوم عليهِ والاشتراك مع العسكر في استئصال اليزيدية والمسيحيين اللاجئين اليهِ ، خرج اسماعيل بك منهُ — بتفويض شيوخهِ واغواتهِ كما يقول[1] — واتصل بالجيش الانكليزي المرابط قرب سامرّة وفاوض قواد الانكليز وزعماءهم كالجنرال مود والآنسة بِلّ فطلب منهم المساعدة ووعدهم بمهاجمة الموصل من الشمال الى ان تسقط بايديهم . وارسله الانكليز صحبة احد ضباطهم الى جبل سنجار للقيام برحلة استكشافية ، ولما تمت مهمته عاد الى تكريت ، فسامرّة ، فبغداد حيث بقي متصلاً بدوائر الانكليز الى ان افتتحوا الموصل فرافقهم اليها . وسار مع قوادهم ايضاً الى جبل سنجار ثم عاد منهُ مستصحباً شيوخ اليزيدية واكابرهم . وهنا حاول الانكليز ان يصلحوا بينه وبين ابن عمه سعيد بك على اساس قسمة السناجق فيما بينهما فنجحوا في ذلك . لكنهم ما لبثوا ان حولوه الى بغداد حيث بقي تحت انظارهم كالاسير ، وعادت الامارة بكاملها الى ابن عمهِ سعيد بك . واخيراً سمحوا لهُ بالعودة الى الموصل ومنها الى سنجار حيث استقرّ الى ان توفاه الله في اوائل تموز سنة ١٩٣٣

---

(١) ادناه ص ٥٩

فلا ريب ان حياة هذا الامير ، الملأى بشتى الاعمال والحركات والمغامرات ، مرتبطة تمام الارتباط بتاريخ فرقته في السنوات الثلاثين او الاربعين الاخيرة ، لا بل ان شخصيته قد طبعت اكثر حوادث هذه الحقبة بطابعها الخاص – مما يجعل لسيرتـه التي ننشرها اليوم اهمية كبرى في درس تاريخ اليزيدية الحديث . وقد بلغ صدى اعمال اسماعيل بك آذان بعض الكتبة الاوربيين الذين يُعنون باليزيدية فدونوا ذكر شيء من اعمالهِ : نشر Dirr ترجمة المانية[1] – وFurlani ترجمة ايطالية[2] – لتعاليم اليزيدية التي دوّنها اسماعيل بك ليزيدية ايكدل في بلاد القوقاس[3] ، ولمّح الى اعمالهِ خلال الحرب وبعدها الكاتبان Empsom[4] والآنسة Bell[5]

كان اسماعيل بك متسامحاً في معتقده ، ميالاً الى الاخـذ ببعض اساليب الحضارة الحديثة ، راغباً في عرض امتهِ للمؤثرات الخارجيـة وفي تعريف العالم الخارجي بطائفتهِ وبميراثها الاجتماعي والديني . يدلنا على ذلك اقدامه على تعليم اولاده ، بالرغم عن تحريم ذلك عندهم ، حتى انهُ لم يمتنع عن ارسال ابنتهِ ونسة الى مدرسة البنات الاميركيـة في بيروت . لكن اكبر دليل على تسامحه وتساهله هو رغبته في نشر الفصل الثاني من الرسالة المتعلق بمعتقدات اليزيدية وعاداتهم . فقد ارسلهُ ، مع الفصلين الآخرين ، الى الدكتور بايرد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية وطلب اليهِ نشرها ليطلع عليها العالم . وليس بنا من حاجة الى تبيان اهمية هذا الفصل الثاني في درس ديانة اليزيدية . فقد ضمنهُ اسماعيل بك شيئاً كثيراً من معتقدات هذه الفرقـة التي يسودها – كما ذكرنا سابقاً – الغموض والابهام . ويظهر انهُ استعان في وضعها ببعض الرسائل التي كتبت قبلاً عن هذه الطائفة[6] . وهذا امر ليس بالمستغرب اذا اعتبرنا مقدار جهل اليزيـدية – حتى زعمائهم وامرائهم – لاصول ديانتهم ومعتقداتهم . ومما يدل على اخذه عن غيره انهُ في احيان كثـيرة يتكلم

---

(١) "Einiges uber die Jeziden" في مجلة *Anthropos* م ١٢–١٣ ، ص ٥٧١–٥٧٣

(٢) *Testi Religiosi dei Yezidi* ص ١٠٩–١١٧

(٣) ادناه ص ٣٠

(٤) *The Cult of the Peacok Angel* ص ٩٣

(٥) *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (سنة ١٩٢٠) ص ٥٠

(٦) راجع ادناه ص ٢٩ حيث يذكر انهُ حصل من صوبي آغا على كتاب عن قوانين اليزيدية بالسريانية مع ترجمتهِ العربية ثم اهداه الى احد المفتشين الاتراك

عن اليزيدية فيشير اليهم بالضمير الغائب كانهُ غريب عنهم[1] ، ثم ما نجده من الموافقة بين بعض اقسام هذا الفصل وبين ما نُشر وتُرجم من النصوص عن اليزيدية فان الشبه بينهما ظاهر للعيان ويكاد يكون في بعض الاحيان تاماً وحرفياً. فاذا قابلنا هذا الفصل بالفصول التي نشرها Browne [2] و Chabot [3] و Giamil [4] و Joseph[5] وغيرها من النصوص العربية والسريانية[6] وجدنا انها كلها تتفق في مواضع كثيرة معنىً ولفظاً مما يدل على انها ترجع الى مصدر واحد او مصادر متشابهة.

على ان من يتفحص هذا النص الذي ننشره يرى انهُ يختلف عن النصوص المنشورة سابقاً من حيث التقسيم والترتيب ، وانهُ يحوي بعض شروح وتعليقات للمؤلف ناتجة عن معلوماتهِ الخاصة. ولعلّ اهم ما فيهِ ما لم يرد في النصوص السابقة هو القسم الاخير عن مزارات اليزيدية وانبيائهم[7]. فتكون اهمية هذا الفصل اذن بهذه الزيادات والتعاليق وملاحظات المؤلف الشخصية وبانهُ يظهر لنا تأييد احد امراء اليزيدية انفسهم لاكثر ما قد نشر عن ديانتهم. ولو لم تكن لهُ الا هذه الفائدة الاخيرة لكانت ، في نظرنا ، كافية وحدها لتبرير نشره.

فاذا جئنا اخيراً الى الفصل الثالث من رسالة اسماعيل بك الفيناه يتعلق ببعض الحوادث التي وقعت في جبل سنجار في مدة المئة والخمسين سنة الاخيرة على عهد الباشاوات الاتراك : سليمان باشا ، وعلي باشا ، وحافظ باشا ، وطيار باشا ، وشبلي باشا ، وكنعان باشا ،

---

(١) ادناه ص ٨١ س ١٤ ، ص ٨٦ س ٤ ، ص ٩٤ س ١٣ ، ص ٩٥ س ٢٣ ، ص ٩٩ س ٤ ، الخ

(٢) O. H. Parry, *Six Months in a Syrian Monastery* في "Translation of Arabic MS. History of Yezidis" ص ٣٦٧–٣٨٧.

(٣) "Notice sur les Yézidis", في المجلة الاسيوية *(JA)* ، السلسلة التاسعة ، المجلد السابع ، ص ١٠٠–١٢٢

(٤) *Monte Singar. Storia di un Popolo Ignoto*

(٥) *Devil Worship*، ص ٢٧–٨٦

(٦) لقد تكرّم الاستاذ المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف فاطلعني على مقالة اخرى عن اليزيدية ومعتقداتهم لم تُنشر بعد جاء في آخرها " كتب في مدينة الموصل بيد الكاتب الحقير الشماس متى بولس السرياني الارثوذكس في سنة ١٩٢٢ مسيحية"، وفي المقدمة ان المعلومات الواردة فيها قد حصل عليها قنصل روسيا في الموصل من احد اليزيدية ، ملاً حيدر من باحزاني ، بعد ان اسكره وحمله على ان يبوح له باسرار ديانتهم ويعطيه كتابهم المقدس ليقرأه. وقد تصفحت هذه المقالة فاذا هي كغيرها من النصوص المنشورة سابقاً تتفق ونص اسماعيل بك في مواضع عديدة

(٧) ادناه ص ١٠٦–١٠٨

وعمر باشا . وهذه الحوادث يدور معظمها حول ثورات اليزيدية على الحكومة التركية والجهود الجبارة التي كانت تبذلها هذه الدولة في سبيل اخضاعهم وقمع شوكتهم وما كانت تلجأ اليهِ لذلك من انواع الشدة والعنف والاضطهاد . وانّا لنجد في هذا القسم الاخير من الرسالة افادات هامة عن اسباب قيام ثورات اليزيدية وعن اساليب الحكومة التركية في قمعها ، ولا شك ان هذه الافادات لا تهم الباحث في تاريخ اليزيدية الحديث فحسب ، وانما قد توضح ايضاً بعض ما يتعلق بحالة الاقليات تحت الحكم التركي عموماً .

****

والآن ، لا بدّ من كلمة موجزة عن طريقتنا في معالجة مخطوطة اسماعيل بك . لقد كان همنا الاول ان نحافظ على الاصل جهد المستطاع . فلم نحاول ان « نصلح » لغة اسماعيل بك بل ابقيناها على طبيعتها وسجيتها كي لا نقف حاجزًا بين القارىء والمؤلف ولا نعكر صفاء الصورة الاصلية التي نعرضها على القراء . وقد حافظنا — ما امكن — حتى على خصائص كتابته ، او بالاحرى كتابة الذي كان يخط ما يملي عليهِ . فاذا كانت لنا تعليقات او تصحيحات اشرنا اليها في الهامش ، او ادرجناها في المتن واثبتنا الاصل في الهامش ، او اكتفينا بوضعها في المتن ضمن حاصرتين [ ] .

وقد عانينا في ضبط نص المخطوطة وحلّ غوامضها صعوبات جمة . فاذا اعتبرنا ان المؤلف ليس رجل علم وثقافة ، وانهُ لم يكن نفسهُ يكتب بل يملي على غيره [1] ، وان لغة الرسالة العربية ممزوجة بكثير من التعابير الكردية والفارسية والتركية والاصطلاحات المحلية ، وان موضوع اليزيدية عموماً لا يزال محاطاً بالغموض والابهام — تبين لنا مبلغ المشاكل اللغوية والتاريخية التي تقف في سبيل من يحاول ضبط مثل هذا النص وايضاحه . وقد استعنا في سبيل ذلك : اولاً بايضاحات وافادات عددٍ من الطلبة العراقيين العرب والاكراد في جامعة بيروت الاميركية الذين انارونا لنا بعض الاصطلاحات والتعابير المحلية الغامضة — وفي مقدمتهم الآنسة ونسة ابنة اسماعيل بك التي كانت في السنة الماضية طالبة في مدرسة البنات الاميركية فتكرمت بايضاح بعض النقاط المبهمة ، واستخدمنا ايضاً معظم ما كُتب عن اليزيدية من المؤلفات والمقالات التي تيسر لنا الوصول اليها ، واكثرها مذكور في الحواشي التي حاولنا بها ان نسهل للباحث فهم النص الاصلي بتعليقات لغوية وتاريخية وجغرافية . وجلّ املنا ان تساعد هذه النصوص الثلاثة مع ما في بعض اقسامها

(1) بحسب افادة ابنته ونسة

من الركاكة والاضطراب على ايضاح بعض المسائل المتعلقة بديانة اليزيدية وتاريخهم وان تزيل شيئاً من الغموض والابهام اللذين يحيطان بهما

لقد بعث اسماعيل بك بهذه الفصول الثلاثة الى الرئيس الدكتور بايرد ضودج ورغب في نشرها في مجلة « الكلية » . فلما احتجبت هذه المجلة عهد الرئيس المحترم الى كاتب هذه السطور بنشرها في كتاب خاص اتماماً لرغبة المؤلف . فما كدنا نبدأ العمل حتى نعت الينا اخبار سنجاز وفاة المؤلف اسماعيل بك الذي انهكت حياته النشيطة جسده فافنتهُ قبل ان يتاح لسيرتهِ ان تظهر للناس . فالى الرئيس المحترم الدكتور بايرد ضودج والى جميع الذين آزرونا في اعدادها للنشر – وهم كُثُر – عاطفة الشكر الخالص والامتنان الاكيد

جامعة بيروت الاميركية

٢٥ آب سنة ١٩٣٤ قسطنطين زريق

فصول الكتاب

(١) سيرة اسماعيل بك چول امير اليزيدية ص ١

(٢) معتقدات اليزيدية وعاداتهم ص ٧٣

(٣) نبذة من حوادث جبل سنجار ص ١٠٩